من مظاهر المصاحبة المعجمية في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

الباحثة: زينب محمد جواد عبد الكاظم
zainbjbory@gmail.com

المشرف: أ. م. د. خالد عباس حسين السياب
kaled.a@uokerbala.edu.iq

المستخلص

تنوعت المصاحبات المعجمية في كلام الإمام الحسين(عليه السلام)، ومن هذه التنوعات التسلسل الرتبي أو التدريجي وعلاقة الجزء بالكل_ الجزء بالجزء، إذ شكلت المصاحبة المعجمية ملمحاً بارزاً في النص، عن طريق التسلسل الرتبي وعلاقة الجزء بالكل، فأمتاز هذان النوعان وما يلازمهما من مصاحبات لفظية في جميع السياقات بتماسك النصوص واتزانها بجميع التراكيب النحوية والسياقية والصوتية والصرفية .

الكلمات المفتاحية: التسلسل الرتبي أو التدريجي وعلاقة الجزء بالكل _الجزء بالجزء

Abstract

The lexical accompaniments in the speech of Imam Hussein (peace be upon him) varied, and among these variations is the rank ordering or gradation and the relationship of the part to the whole, as the lexical accompaniment formed a prominent feature in the text, through rank ordering and the relationship of the part to the whole. These two types, along with their accompanying verbalizations, were distinguished in all contexts by the coherence and balance of the texts in terms of grammatical, contextual, phonological, and morphological structures .

Keywords: Rank ordering or gradation, relationship of the part to the whole, part to part

التسلسل الرتبي أو التدريجي

وهو نوع من أنواع المصاحبة المعجمية،ونجد هذه السياقات التدريجية في القرآن الكريم، اذ انها بينت كيف كان التسلسل التدريجي في خلق الكون ومن ثم خلق الأرض وعن خلق أب البشرية النبي آدم (عليه السلام) , ونجد أن القرآن الكريم يفصل بعضاً منها في نصوصه الكريمة، عن ابتداء نشأة الانسان وتسلسله وتكاثره، من طور ابتدائه في خلقه من الأصلاب إلى الأرحام، فانماز التسلسل التدريجي اللغوي وما يلازمه من مصاحبات لفظية وصوتية في جميع السياقات القرآنية وأدعية أهل البيت (عليهم السلام) بتماسك النصوص واتزانها بجميع التراكيب النحوية والسياقية والصوتية والصرفية. وتسلسل الحروف والألفاظ، إذ نلحظ أن الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال اتباع ملازمات معجمية تؤدي وظائف دلالية إفهامية فيها من تناسق المفردات والتراكيب، ذات معاني قيمة، إذ وظف ألفاظه لكل مناسبة أو موضوع ما يليق به من أجل إيصال فكرة منظمة وهدف سامٍ يستفيد منه المجتمع ككل [1].

ومعنى التسلسل التدريجي لغوياً: «السلسلُ: الماء العذب الصافي يتسلسل في الحلق وفي حبب أو حدود اذا جرى، وهو السلسال» والسلاسل جمع السلسلة التي تكون اتصال الشيء بالشيء ... ويرد التسلسل بمعنى التدرج، أي مراتب بعضها فوق بعض» [2] «شيء متسلسل: متصل بعضه ببعض» [3].

أما اصطلاحاً: «فهو سلسلة متتابعة أو متتالية من الألفاظ التي تتصل أو تكمل بعضها بعضاً الذي يؤدي إلى ايضاح الأحداث ايضاحاً منتظماً [4]، له أثر على تنظيم السبك أو البناء اللغوي والمتدرج حسب الترتيب الذي يراد ذكره في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) في بيان الدلالات المعجمية والمصاحبات.

والآن نوضح مفهوم الرتبي أو الرتبة، والمقصود بها هي ما يتسلسل من اللغة في بناء متتالي كالأيام والأشهر والسنين وجاء مفهوم الرتبة لغوياً: «والرتبة واحدة من رتبات الدرج، ورتبت هو رتبته سواء، والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها، وترتب فلان أي علا رتبة أي

درجة» [5] «ورتب الشـــيء يرتب رتوباً وترتب ثبت فلم يتحرك، والرتبة والمرتبة المنزلة عند الملوك ونحوها» [6]، يقول تمام حســان: «هي علاقة بين جزأين من أجزاء الســياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه» [7] أي ان المعنى الاصــطلاحي يختلف عن المعنى اللغوي، لأنه يدل على المنزلة أو القيمة الواقعية في الكلام [8].

ولعلماء البلاغة أثر أيضــاً في ما يتعلق بالتســلســل التدريجي فقد وجد عناية لما يمتلكه من دلالات الارتباط والتعلق والتماسـك بين أجزاء الكلام، معتمدين في ترتيبهم السـياقي على الأصـل النحوي، لأنهم يدرسون أسلوب التركيب لا التركيب نفسه [9].

اذ يقولون «سلس، ومن المجاز: في كلامه سلاسـة، وقد سلس لي بحقي، وان فلاناً لسلس القياد وسلاس القياد» [10] «والتدرج: درج قرن بعد قرن ... واستدرجه: رقاه من درجة إلى درجة ... ومن المجاز: لفلان درجة رفيعة وامش في مدارج الحق ... ودرجه إلى هذا الأمر عوده إياه، كأنما رقاه من منزلة إلى منزلة، وتدرج إليه» [11].

والتسلسل في الترتيب يكون بحسب القدم الزماني أو المكاني، والتسلسل التكويني الإلهي أو العددي، وتسـلسـل بالشـرف أو العلية أو الطبع، ويكون المتقدم بالرتبة، كتقديم الصـف الأول على الثاني والثاني على الثالث كتقدم نوح (عليه الســلام) على إبراهيم (عليه الســلام) ويكون مقدم بالزمان أو متقدم بالشرف، أي الراجح بالشرف على غيره وهكذا [12].

اما الآن فنوضح الدراسة التطبيقية على كلام الإمام الحسين (عليه السلام) وعلى المواضع التي وردت فيها هذه الأنواع من التدرجات أو الترتيبات التســلســلية، إذ إن الإمام الحســين (عليه الســلام) كلامه هو اقتداء بكلام الله تعالى فدعاؤه يوم عرفة فيه من التســلســل الترتيبي وتلازم الكلمات وتنوع دلالتها ومصــاحباتها المعجمية حيث ان الإمام (عليه الســلام) انتقى لهذا اليوم المبارك الكثير من الكلمات التي لها وقع على النفوس وتأثير مادي بسماعها، غير تأثيرها المعنوي

وما تحويه من خشوع وعبودية لله تعالى، والدعاء هو الصيحة والاستدعاء والنداء والاستغاثة، وعندما يكون الدعاء لله تعالى فيعني حينئذ الرغبة إليه وتعظيمه وتنزيه وشكره والثناء عليه والطلب منه عز وجل، فالإنسان يؤمن عادة بأن للأسباب المادية تأثيراً في تحقق كثير من حوادث الكون، فمثلاً السعي سبب لكسب الرزق، المذاكرة سبب للنجاح في الامتحان ... إلخ.

لكن الإنسان يغفل ويظن أن هذه العوامل والأسباب المادية كفيلة بنفسها، بأن تتحقق – وبمعزل عن الله تعالى – ما يريد، وان اختيار الله الإنسان بأن الدعاء له تأثير وفاعلية وقدرة على تغيير القضاء، وأنه يعد من أفضل وأكبر نعم الله عز وجل علينا. وقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام): «**ان الدعاء يرد القضاء وقد نزل من السماء وقد ابرم ابراماً**» [13].

لذا فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وصفوا الدعاء بأنه السلاح الحقيقي للمؤمن.

إذ لا يخفى على أحد أن لكل طائفة من أرباب الفنون والعلوم، بل لكل أمة، أسلوباً خاصاً من البيان، ولكل بلد لهجة متميزة عن غيرها، ولأئمة أهل البيت (عليهم السلام) أسلوب خاص في الثناء على الله والضراعة له، ويُعرف ذلك من مارس أحاديثهم وآنس بكلامهم وخاض في بحر أدعيتهم [14].

ولهذا الدعاء خصوصية إذ امتاز عن غيره من الأدعية ان الإمام (عليه السلام) دعا به في أيام الحج، فتعد له خصوصية زمانية، وقد دعا به في منطقة عرفات في الحل من الحرم وبذلك له خصوصية مكانية أيضاً وله خصيصة ثالثة وهو الشخص الداعي , فالداعي بهذا الدعاء له خصوصية استثنائية، يعجز القلم عن وصفها، كون الداعي الإمام الحسين (عليه السلام) وأبوه علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وأمه فاطمة الزهراء (عليها السلام) فمن دعائه (عليه السلام): «**الحمد لله الذي ليس لقضائه دافعٌ، ولا لعطائه مانعٌ، ولا لصنعه صنعُ صانعٍ، وهو الجواد الواسع، فطر أجناس البدائع، واتقن بحكمته الصنائع، لا يخفى عليه الطلايع، ولا تضيع عنده الودائع، أتى بالكتاب الجامع، وبشرع الإسلام النور الساطع، وهو للخليقة صانع، وهو المستعان على الفجائع، جازي كل صانع، ورائش كل قانع، وراحم كل ضارع، ومنزل المنافع والكتاب**

الجامع، بالنور الساطع، وهو للدعوات سامع، وللدرجات رافع، وللكربات دافع، وللجبابرة قامع، وراحم عبرة كل ضارع، ودافع ضرعة كل ضارع، فلا إله غيره، ولا شيء يعدله، وليس كمثله شيء، وهو السميع العليم، البصير اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير» [15].

فدعاؤه (عليه السلام) قد بدأه (بالحمد لله) والحمد هنا مقارنة للمدح والشكر، المدح هو الثناء بشكل عام، والشكر هو ما نبديه اتجاه نعمة أنعمها الله علينا باختياره، فالحمد قد جمع بينهما في الوقت نفسه، لذا عندما نكون أمام شيء يوجب مدحه ويوجب شكره، هنا نقوم بمدحه [16]. (والحمد لله) هي عبارة افتتاحية للنص، اذ افتتح الإمام (عليه السلام) نصه قائلاً: «الحمد لله الذي ...» [17]

وهذه عبارة جاهزة من حيث التركيب والترتيب النصي الموقعي، لورودها في القرآن الكريم في الموقع الافتتاحي ذاته تقريباً، لأن القرآن الكريم يبدأ أولى سوره بالفاتحة، وأول الفاتحة بعد البسملة (**الحمد لله**) [18]، ودعاؤه (عليه السلام) يحمل الكثير من الخصائص البلاغية والبيانية، ويتضمن التسلسل التدريجي وفيه من تماسك الألفاظ والمفردات، وقد رتبها الإمام ترتيباً منظم على وفق قواعد متناسقة صوتياً ونحوياً ولغوياً إذ ان الكلمات تشكل تلازماً ومصاحبة بين لفظين وأكثر مشكلة نصاً معجمياً مرتباً تسلسلياً تحقق فيه المصاحبة المعجمية في ألفاظه وبشكل منظم ومتقن فالإمام (عليه السلام) قد بدأ قوله بجملة خبرية دلالة على الثبات واللزوم بلفظة (الحمد لله) وبعد ذلك جاء التسلسل التدريجي للألفاظ مرتباً وبشكل منتظم وكالآتي (دافع – مانع – صانع – الواسع – البدائع – الصنائع – الطلايع – الودائع – الجامع – الساطع – الفجائع) وهذه الألفاظ قد جاءت ضمن نص متماسك مرتب تركيبياً، ومتلازم الألفاظ داخل سياق نحوي وصوتي متسلسل بصورة واضحة للمتلقي.

وان وجود صوت (العين) الذي يدل على الحركة والدفع والاضطراب [19]، أعطى دلالات للمفردات في نهاياتها (مانع – صانع – واسع – بدائع – ودائع ...) زادها وضوحاً وقوة واستمرارية، وجعل للمفردات وقعاً مؤثراً ومعبراً.

فهذا الصوت حكى في هذه المفردات المعرفة الفطرية المباشرة الواضحة لدى الإمام (عليه السلام) – لصفات الحق سبحانه، ولعل هذا من أسباب اختياره لافتتاحية النص وتعداد ما يدل على القوة والعظمة والعلم والعطاء والحكمة وغيرها من الصفات التعريفية التي تنسجم دلالتها مع الدلالة التقديمية الافتتاحية التي توحي وتجهز وتصرح الحقيقة ما يأتي بعدها من مسائل وطلب واعتراف، مما يرتبط ارتباطاً دلالياً وثيقاً بدلالة مفردات هذه الفقرة [20].

وهذا ما يسترعي الانتباه له من تدرج تسلسلي مرتب للمفردات وتناسقها وانسجامها داخل النص فهي توصي بأن كلام الإمام (عليه السلام) هو عبارة عن كلام الله سبحانه وتعالى لما فيه من امكانية عظيمة تشبه الى حد كبير عظمة القرآن الكريم.

وبهذا فقد امتاز دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) بأهم الألفاظ التي نجد فيها المصاحبات اللغوية في التراكيب المختلفة، وتعد هذه الألفاظ مناسبة ومتناسقة دلالياً ولفظياً وأدت وظائف بلاغية ونحوية ولغوية، جعلت النص متماسكاً ومنسجماً بما تحويه من تسلسل منتظم للمفردات، والمصاحبات تتسلسل وتتدرج إلى الحاجة التي تلازم وتصاحب المنتهى وأي منتهي فهي تنتهي إلى الرجوع إلى الله تعالى بكل خشوع وتضرع وهذا ما نجده عند أهل البيت (عليهم السلام) أجمعين وعند الإمام الحسين (عليه السلام) بشكل منفرد، وبذلك تحقق توازناً للنص ظاهرياً وباطنياً.

ذلك ان التصاحب واضح بين (القضاء ودفعه) و(العطاء ومنعه) و(الصنعة والصانع) و(الجود والوسع فيه) و(فطر الأشياء واستيداعها) و(الصنيعة واتقانها) و(العبرة والضارع) و(الوديعة وعدم ضياعها) و(الكتاب وشمولية الجملة) و(الدعوة وسماعها) و(الدرجات ورفعها) و(الكربات ودفعها) و(الجبابرة وقمعهم) و(النور وسطوعه) و ... إلخ.

كل هذه التصاحبات جرت متسلسلة متدرجة تبين قدرة الله على خلقه وتصديقه عز وجل لأمور الدنيا والآخرة.

ودعاؤه صباح يوم عاشوراء أنه رفع يديه، وقال: «**اللهم أنت ثقتي في كل كربٍ، وانت رجائي في كل شـــدةٍ، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضـــعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته عني وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنةٍ ومنتهى كل رغبة**» [21].

إن دعاء الإمام الحســين (عليه الســلام) في هذا اليوم ينفرد من بين الأدعية بكثرة الأســباب الباعثة لصـدوره عن حجة الله تعالى على خلقه، إذ إنّ ألفاظ هذا الدعاء تحرك الوجدان الفكري بما يحويه من تراكيب معجمية منظمة ومتسلسلة، وأيضـاً تنظيم للعبارات بشكل دقيق، فالإمام (عليه السلام) عندما دعا بهذا الدعاء كانت لديه أسباب باطنية فالأحداث متسلسلة منذ قدومه من الحجاز حتى وصوله إلى كربلاء المقدسة وانتهائه بيوم عاشوراء، فهذا الدعاء طويل جداً وكان قد بدأه قبل الشروق، وهذه الساعة هي ساعة الاستجابة، وهي الساعة التي تحرك فيها العدو وزحف نحو الإمام الحسين (عليه السلام)، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «**إنّ الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها سنّة واجبة**» [22]، دليل على ان الإمام الحسين (عليه السلام) جمع هذه الآثار الغيبية وأضاف إليها خصوصية دعائه من حيثية أنه لا ترد له دعوة لكونه حجة الله على خلقه، فهو انتقى ألفاظه وأركان مجرياته عن طريق المعاني التي حملتها كلماته وهي منظمة ومتدرجة بهذا الترتيب، إذ إن الإمام (عليه السلام) يبتدئ دعاؤه بلفظ «اللهم» ولم يقل يا رب، والفرق بينهما هو رتبة التوحيد، فالرب يمكن أن يكون من مصاديق الوالد والمربي والملك، في حين كان مصداق لفظ (اللهم) هو الخلوص في اظهار العبودية لله (عز وجل)، وانه المالك لهذه النفس والمتصرف بها؛ وأنها العائدة إليه، وأنها أي هذه اللفظة مظهر جلي للاقرار بالالوهية لله تعالى [23].

ويأتي الكلام في دعائه مرتباً والألفاظ منتظمة، فقوله (عليه الســلام) (اللهم)، (أنت ثقتي)، (في كل كرب)، (ورجائي في كل شــدة)، و(أنت لي)، (في كل أمر)، (ثقة وعدة) فهنا يقدم (عليه الســلام) الاقرار بالربوبية، والافتقار إلى الله تعالى، قبل عرض حاجته، بعد ذلك تقديم الافتقار إلى الله (عز وجل) مع عرض الحاجة في ســياق واحد فقال (عليه الســلام): «**كم من هم يضــعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه**

الصديق، ويشمت فيه العدو»، «أنزلته بك وشكوته إليك»، «رغبة مني إليك عمن سواك»، فيكون السياق في عرض الحاجة والافتقار إلى الله تعالى في نسق واحد، ثم تتوسط الحاجة بين عرض الافتقارين إلى الله تعالى، فقوله (عليه السلام) في مقدمة دعائه: «**اللهم أنت ثقتي، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة»**، ثم يختم بقوله: «**فكشفته وفرجته**» أي لأنك القادر على ذلك، ولأنك – سبحانك - «ولي كل نعمة»، «وصاحب كل حسنة»، «ومنتهى كل رغبة»، كانت جميع حاجاتي مقضية وأدعيتي مستجابة، ورغباتي محققة، وأماني منجزة، فيكون الدعاء الأول هو البوابة التي يفتحها الإمام الحسين (عليه السلام) للانتقال منها إلى حرم القداسة ومحل نزول الفيض الإلهي.

وقوله (عليه السلام): (أنت ثقتي)، فالثقة: «مأخوذة من (الوثق) وهو مصدر قولك وثق به يثق، بالكسر فيهما، وثاقة وثقة: ائتمنه، وأنا واثق به وهو موثوق به. والوثاقة: مصدر الشيء الوثيق المحكم، والوثاق: اسم الايثاق. والحبل أو الشيء الذي يوثق وثاق [24]، اذ نلحظ ان الإمام (عليه السلام) بدأ في أول خطوة في يوم الطف هو الأخذ بالأمر الأوثق والأشد والأحكم وهو الله جلّ جلاله، بهذا التعبير يُظهر الإمام (عليه السلام) الأمر الثابت الذي لا يتغير وهو الله (عز وجل)، فهو ثقته في كل كرب وليس في هذا الوقت، بل في كل كرب حدث قبل هذا الكرب أو سيحدث بعده، فالثابت في كل ذلك هو الثقة بالله عز وجل، واختياره لله (عز وجل) دون ولده وأهله وأصحابه ومن له من الخصوصية الخاصة والتفرد، هو عنصر (التوكل) فالتوكل عند الإمام (عليه السلام) هو الثقة بالله وحده لا شيء معه، والتوكل عندنا هو التعلق بالأسباب بالولد والأهل والأقارب والأصحاب والعشيرة والمال والسلاح وفنون القتال، و... إلخ، فهذه الأسباب هي سواء عند سيد الشهداء (عليه السلام) ولا يبقى منها سوى الغريزة الإنسانية المتمثلة بالأبوة والإخوة والصحبة، لذا بكى عليهم أشد البكاء لأنه مثال الإنسانية وعنوان وجودها، ولذلك نجده (عليه السلام) يظهر لنا في مدرسة عاشوراء عامل الثقة بالله ودوره في الهزيمة والنصر في جميع مجالات الحياة، فيعيد بيانه في دعائه مرتين [25].

وفي هذه المسألة يقول الطباطبائي: «ان معنى التوكل على الله انه ليس اعتماداً عليه سبحانه بإلغاء الأسباب الظاهرية، بل سلب الاعتماد القطعي على الأسباب الظاهرية لأن الذي يبدو للإنسان منها بعض يسير

منها دون جميعها، والسبب التام الذي لا يختلف عن مسببه هو الجميع الذي يحمل إرادته سبحانه، فالتوكل هو توجيه الثقة والاعتماد على الله سبحانه الذي بمشيئته تدور رحى الأسباب اللائحة عليه من غير أن يلغي شيئاً منها فيركب مطية الجهل» [26].

فالإمام الحسين (عليه السلام) كان دعاؤه مرتباً ومتسلسلاً وتأتي المفردات في انتظام يجعل من النص منسجم التركيب ومفهوماً لدى القارئ، اذ تقدم ذكر العبودية لله عز وجل والثقة به، بعد ذلك ذكر النعم التي أنعمها الله عليه وعلى أهل بيته والافتقار له وبعد ذلك عرض حاجته بالتذرع لله سبحانه، ومثل هذا التنظيم لا نجده إلا عند أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله)، فكلامهم هو امتداد لكلام الله سبحانه وتعالى، وهو الذي خصهم عن قول وفعل أي شيء وميزهم عن باقي البشر، وهذه القاعدة الأخلاقية في مجال الخطاب مع الله تعالى كثيراً ما ركزت عليها مدرسة العترة الطاهرة (عليهم السلام) ولا سيما مدرسة عاشوراء بوصفها جمعت أصعب عوامل البقاء والموت، وأدق مواطن التعرض للحاجة، وطلب العون، والنصرة، اذ ان الإمام (عليه السلام) وأهل بيته كانوا نموذجاً عملياً لتعاليم السماء، فان طلب الحاجة وعرض المسألة على الله تعالى نجد بها عدد من الآداب التي أظهرتها كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، ولا سيما وان هذا التأدب المحمدي النبوي في عرض المسألة وطلب الحاجة من الباري عز شأنه [27]. وهذا الترتيب في دعائه يستمر، فبعد الثقة يستعمل الرجاء، وهنا يشير الإمام (عليه السلام) إلى دور الرجاء في تقويم السلوك وضبط النفس في مواطن الشدة، وحسب منهج القرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة (عليهم السلام) – لا يستقيم أثر الرجاء على النفس والسلوك بدون الخوف [28].

وان الإمام الحسين (عليه السلام) قدم الخوف على الرجاء في دعائه بشكل مستمر، أي لم يأتِ بلفظ الخوف كما هو الحال بالنسبة للرجاء فقد جاء مباشراً وظاهراً، فقوله: «**ورجائي في كل شدة**» أخفى عامل الخوف في ملازمته للرجاء في ألفاظ الدعاء، لأن الإمام (عليه السلام) في هذا الموقف هو القائد المحارب ولذلك لا ينبغي له إظهار الخوف حتى ولو في دعائه وتضرعه إلى الله تعالى لحكمة بالغة، لكونه قائد الجيش فإن ذلك يلزمه اخفاء كل ما شأنه ان يحرك الاحساس بالخوف لدى جنده وأتباعه، هذا من المنظور العسكري لا

العقائدي، وكذلك ان من يسمع الدعاء هم أهل بيته وفيهم النساء والأطفال فان لفظ (الخوف) في الدعاء يؤثر على المشاعر ويحرك الاحساس بالخوف لديهم، غير ان هذا اللفظ يترك الحزن على سامعيه، ولأن الأعداء لو سمعوا هذه المفردة يستعملها الإمام (عليه السلام) في دعائه لظنوا انه خائف وأنهم حققوا تقدماً في كثرة الجيوش التي زحفت إليه وأحاطت به من كل جانب، ولذلك عمد الإمام (عليه السلام) إلى إيراد الخوف كمقوم للسلوك الإنساني مستتراً وقد دلت عليه الهيئة البنيوية للفظ (الثقة)، لأنها نتيجة عقلية ونفسية لحالة الاطمئنان، بل ان الاطمئنان باب لولوج الثقة إلى النفس وبعكسها أي الخوف الذي هو ضد الاطمئنان ينعدم استحصال الثقة.

والخوف لغةً: «هو الفزع» [29] والرجاء «هو نقيض اليأس» [30] وهو من الأمل [31]. حيث جاء ترتيب الألفاظ بين الفزع والحذر والأمل.

اذ استلزم الرجاء للخوف، فهما متلازمان، وان أمكن أحدهما نظراً إلى كثرة حصول أسبابه، وإن تيقن الحصول أو عدمه لم يكن انتظارهما خوفاً ورجاءً، بل سمي انتظار مكروه أو انتظار محبوب [32].

فالتسلسل الرتبي حصل في دعائه (عليه السلام) بقوله: «**اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمرٍ نزل بي ثقة وعدة**» انما هو نتيجة لمحبة الله تعالى التي غمرت قلبه المقدس فكان الرضا بفعل المحبوب، والثقة بعنايته، وهي هذه المحبة، فتوكل عليه ورجاه في كل شدة، ولكون الموقف حق اليقين بربه فقد كان له في كل أمر نزل به ثقة وعدة، فالألفاظ (ثقتي، رجائي، شدة، ثقة، عدة) شكلت ترتيباً متسلسلاً من الألفاظ منسجم التراكيب يحمل مضامين عميقة بما تحوي الألفاظ الكثير من الشروحات والتفسيرات [33].

وإن الركيزة الاساسية في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في صبيحة يوم عاشوراء نجد لها خصوصية تمثلت بهذا الكم الكبير من العلوم والمعارف الأخلاقية والنفسية والتربوية فضلاً عن الخصوصية الولائية بصفته يكشف عن غربة المولى صلوات الله وسلامه عليه وتعاظم الظلم، وكثرة أعدائه، وقلة ناصريه، كما ان كلماته تشعر قلب الإنسان بالحزن والأسى تلك الكلمات التي ترددت من قبل على لسان جده المصطفى

(ص) حينما ذهب إلى الطائف بعد فقدان الناصر، ورحيل المحامي، والمدافع، والذاب عنه، وهو عمه أبو طالب (رضوان الله تعالى عليه).

ذلك ان التصـــاحب واضـــح بين «**اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شـــدة**»، فبين الثقة والرجاء مراتب يسلكها المحب في التقرب إلى من يحب، فتصاحب الجمل وترتيبها عنده (عليه السلام) تراها في تقديمه (**أنت ثقتي**)، (**رجائي**)، (**وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة**) وبعدها يعرض حاجته فيقول: (**كم من هم يضعف فيه الفؤاد**)، (**وتقل فيه الحيلة**)، (**ويخذل فيه الصديق**)، (**ويشمت فيه العدو**) بعد هذه المراحل ينتقل الإمام (عليه السلام) إلى الدخول في عرض الحاجة وبيان المسألة فيسوقهما بنسق واحد بقوله: (**أنزلته بك وشكوته إليك**) ثم يعود الإمام (عليه السلام) إلى حمد الله تعالى: (**رغبة مني إليك عمن سواك**)، ثم يعود إلى الدعاء المقرون بالاجابة فيقول: (**فكشـــفته وفرجته**) أي حاصـــل لديه القطع بإمضـــاء هذا الطلب وانفاذ هذه المسـألة، وينتهي ببيان رتبة أهل العلم فمن يدعو الله وهو عارف وفاهم لتلك الصـفات الإلهية غير الذي يتلفظ بما لا يعني ولا يدرك (**فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة**) اذ بدأ (عليه السلام) بالحب الإلهي ويختم به [34].

اذ جرت هذه المصـاحبات بين الألفاظ متسـلسـلة ومتدرجة لتبين لنا وتعلمنا كيف يكون توجهنا ودعاؤنا إلى الله تعالى، ويعلمنا كيف ننتقل بين أركان هذا اللون من العبادة التي قدمها الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء.

علاقة الجزء بالكل – الجزء بالجزء

من أنواع المصـــاحبات المعجمية التي تحكم الألفاظ، وتجعلها تترابط فيما بينها علاقة الكل بجزئه، وكذلك تكون علاقة بين شـيئين غير منفصـلين، أي ترابط جزء معين مخصـوص بشـيء بشكل عام.

وقد ورد هذا النوع في دعاء الإمام الحسـين (عليه السـلام): بقوله: «**يا من عفى عن العظيم من الذنوب بحلمه، يا من أسـبغ النعمة بفضـله، يا من أعطى الجزيل بكرمه، يا عدتي في كربتي،**

ويا مُوْنسي في حضرتي، يا ولي نعمتي، يا إلهي وإله آبائي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ورب جبرائيل وميكائيل واســـرافيل ورب محمد خاتم النبيين، وآلـه المنتجبين، ومنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم، ومنزل كهيعص وطـه ويس والقرآن الحكيم، انـت كهفي حين تعييني المـذاهـب في ســـعتهـا، وتضـــيق على الأرض بمـا رحبـت، ولو لا رحمتـك لكنـت من المفضوحين» [35].

علاقة الجزء بالكل

1	الذنوب	علاقة كلية	
		العظيم منها	علاقة جزئية
2	كرمه عز وجل	علاقة كلية	
		الجزيل	علاقة جزئية
3	الوليّ	علاقة كلية	ولي كل شيء
		وليّ نعمتي	علامة جزئية
4	إلـــه الأنـــبـــيـــاء (عليهم السلام)	علاقة كلية	
		إلــه الإمــام الــحســـيــن (عليه السلام)	علاقة جزئية
5	رب كل الأشياء	علاقة كلية	
		ربّ خـاتـم الـنـبـيـين مـحـمـد (صلى الله عليه وآله	علاقة جزئية
		رب آله (عليهم السلام)	علاقة جزئية

6	رحابة الأرض	علاقة كلية	
		ضيق الأرض	علاقة جزئية

لاقة جزء من جزء

1	القرآن الكريم	جزء من الكتب السماوية	
		كهيعص، طه، يس	علاقة جزء وجزء
5	خاتم النبيين	جزء من الأنبياء	
		آل محمد (ص) عليهم السلام – جزء من النبي محمد (صلى الله عليه وآله)	علاقة جزء من جزء

وما ورد أيضاً قوله (عليه السلام): «**أشتد غضبُ الله على اليهود حين قالوا: عزيز بن الله، واشتد غضب الله على النصارى حين قالوا: المسيح بن الله، واشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا النار من دون الله، واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم، واشتد غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيهم**» (36).

اذ نلحظ في هذا النص وجود علاقات معجمية، وهي علاقة الجزء بالكل وعلاقة الجزء بالجزء.

العلاقة الكلية ← الجزء

1- الله - ← اليهود، النصارى، المجوس، القوم، العصابة.

علاقة الجزء ← الجزء

2- اليهود ← عزيز بن الله

3- النصارى ← المسيح بن الله

4- المجوس ← عبدوا النار

5- القوم ← قتلوا نبيهم

6- العصابة ← قتلوا ابن نبيهم.

وقوله (عليه السلام):«**ان الله تعالى لما خلق آدم وسواه وعلمه أسماء كل شيء وعرضهم على ملائكة جعل محمداً علياً وفاطمة الحسن والحسين (عليهم السلام) أشباحاً خمسة في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السموات والحجب والجنان والكرسي والعرش، فأمر الله الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً له، أنه قد فضله بأن جعله وعاءً لتلك الأشباح التي قد عم أنوارها الآفاق، فسجدوا إلا ابليس أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت وقد تواضعت لها الملائكة كلها واستكبر وترفع وكان بإبائه ذلك وتكبره من الكافرين**» (37).

علاقة الكل	الجزء
1- خلق الله	آدم، الملائكة، محمد، علي، فاطمة، الحسن، الحسين
2- الأنوار	السموات والحجب والجنان والكرسي والعرش
3- الأشباح	الملائكة – إبليس
4- عظمة الله	التواضع
5- السجود	تعظيماً لآدم
علاقة الجزء	الجزء
1- ابليس	استكبر، ترفّع، ولديه إباء، وتكبر
2- أهل البيت	اشباحاً خمسة في ظهر آدم

النتائج والخاتمة:-

- يعتبر التسلسل الرتبي او التدريجي وعلاقة الجزء بالكل والجزء بالجزء نوع من انواع المصاحبة المعجمية بشكل خاص ونوع من انواع المصاحبة اللفظية بشكل عام.

- إن هذين النوعين يشكلان مظهر من مظاهر الترابط بالنص وتحقيق التماسك بين اجزائه , وهذا ما وجدناه في ادعية الامام (عليه السلام) .

- إن المصاحبة لكل كلمة مع كلمة اخرى توضح دلالة ذلك التركيب , أذ ان التصاحب يوصل الى المعنى المطلوب.

- هذا النمط من المصاحبات لم يذكروه علماء اللغة قديماً , لكنهم استعملوه على انه ملازمة او اقتران او تضام او نظم للكلمات .

- هذا النوع من التلازم يعطي قوة دلالية في بناء النص, اذ ان الكلمة اذا وضعت في مكانها المناسب فأنها تؤدي وظيفة دلالية يستقيم معها النص.

- ان المصاحبة المعجمية بأنواعها اعطت للنصوص قوة في ايضاح المعنى وازالت الابهام والغموض منها.

الهوامش

([1]) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: 132.

([2]) العين: (سلس) 2 / 51، أساس البلاغة: (سلس) 1 / 131.

(3) الصحاح: (سلس) 1 / 325 – 201.

(4) ينظر: نقد الشعر: 1 / 2.

(5) العين: (رتب) 2 / 136.

(6) لسان العرب: (رتب) 1 / 409.

(7) اللغة العربية معناها ومبناها: 209.

(8) ينظر: أقسام الكلام العربي: 146، ينظر: المصاحبة المعجمية وأثرها في بناء النص أدعية أهل البيت (عليهم السلام) أنموذجاً: 1 / 57 – 58، (رسالة ماجستير).

(9) اللغة العربية معناها ومبناها: 209.

(10) ينظر: أساس البلاغة: (سلس) 1 / 468.

([1]1) المصدر نفسه: 1 / 132 – 224.

([1]2) التعريفات: 18، وينظر: المصاحبة المعجمية وأثرها في بناء النص: 1 / 58، (رسالة ماجستير).

([1]3) الكافي: 2 / 469.

([1]4) ينظر: شرح دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: 6، 10.

([1]5) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): 2 / 946، ينظر: بحار الأنوار: 94 / 265 ح 3، مهج الدعوات: 11.

([1]6) ينظر: شرح دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: 26.

([1]7) ينظر: دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة أسلوبية: 40.

([1]8) الفاتحة: 1.

([1]9) مقاييس اللغة: 2 / 257.

(20) ينظر: دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة أسلوبية: 28.

(21) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): 1 / 510، بحار الأنوار: 45 / 86.

(22) الكافي: 2 / 522.

(23) ينظر: دعاء الإمام الحسين في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي: 1 / 123 – 124.

(24) لسان العرب: (وثق): 10 / 371.

(25) ينظر: دعاء الإمام الحسين في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي: 1 / 114 – 119.

(26) تفسير الميزان: 17719.

(27) ينظر: دعاء الإمام الحسين في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي: 1 / 124 – 125.

(28) المرجع نفسه: 1 / 129.

(29) لسان العرب: 9 / 99.

(30) العين: 6 / 176.

(31) ينظر: لسان العرب: 14 / 309.

(32) ينظر: دعاء الإمام الحسين يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي: 1 / 129 – 133.

(33) ينظر: دعاء الإمام الحسين يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي: 1 / 155.

(34) ينظر: دعاء الإمام الحسين يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي: 1 / 169 – 174.

(35) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): 2 / 951.

(36) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): 1/ 518، بحار الأنوار: 44 / 318.

(37) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): 1 / 482، بحار الأنوار: 11 / 149.

المصادر والمراجع

1- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم (ت 538 هـــ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1419 هـ - 1998 م.

2- أقسام الكلام العربي، فاضل مصطفى الساقي، تقديم د. تمام حمادة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1397 هـ - 1977 م.

3- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلســـي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1953 م.

4- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816 هـ)، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان ، 1978 م.

5- دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة أسلوبية، آمنة حسين يوسف الشريفي، الناشر: العتبة العباسية المقدسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، 1439 هـ - 2018 م.

6- دعاء الإمام الحســين يوم عاشــوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي، نبيل الحســيني، تقديم اللجنة العلمية، محمد علي الحلو، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، 1431 هـ - 2010 م.

7- شرح دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة، الشيخ مرتضى فرج، ط 1، 1433 هـ.

8- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم الســامرائي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد – العراق، 1982 م.

9- الكافي، أبو اسحاق جعفر بن محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (ت 329 هـــ)، نص: علي أكبر غفاري، ط 5، حيدري، طهران، 1417 هـ.

10- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت 711 هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار صادر، بيروت – لبنان، 1388 هـ - 1968 م.

11- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ط 5، عالم الكتب، القاهرة، 2006 م.

12- المصاحبة المعجمية وأثرها في بناء النص أدعية أهل البيت (عليهم السلام) أنموذجاً، ابتهال عباس محمد اسكندر، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، 1442 هـ - 2020 م.

13- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.

14- موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) للإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، تشرف بإعداده وتحقيقه: محمود شريفي، محمود أحمديان، السيد حسين سجادي تبار، السيد محمود المدني، الطبعة الرابعة، 1434 هـ - 2013 م.

15- الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1402 هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط 1، 1422 هـ - 2001 م.

16- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، تقديم: سليمان العطار، محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، مج 1، ط 1، 2007 م.

17- نقد الشعر، العالم العلامة أبو الفرج قدامة بن جعفر، طبع في مطبعة الجوانب، ط 1، 1302، (د. ت).